بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إشكالية العلاقة بين اللغة الأدبية واللهجات.

اللغة العربية انموذجا

Seydina Alioune DIOP

LE PROBLÉME DE LA RELATION ENTRE LES DIALECTES ET LA LANGUE LITTÉRAIRE : LE CAS DE LA LANGUE ARABE

Résumé

Cette recherche porte sur un phénomène linguistique bien connu dans les langues humaines, qui est le phénomène du langage et des dialectes. C'est un phénomène naturel pour les langues étendues et répandues, mais c'est une épée à double tranchant, car elle peut être en faveur de la langue ou contre elle. Elle est en sa faveur de cette dernière si les dialectes sont des tributaires de la langue qui lui fournissent des mots et une terminologie nouveaux dans la société et l'aident à suivre le rythme de la vie et à rester une langue vivante, et elle peut être contre elle, si elle devient une cause de sa faiblesse et un facteur de sa division.

Pour traiter ce sujet, il sera important de l'aborder à travers l'approche descriptive analytique, en trois chapitres, dont le premier est : langue et dialecte, le deuxième chapitre : la langue arabe et le bilinguisme et le troisième chapitre : Solutions proposées. Il comprend l'intérêt pour la langue des médias - l'attention à la formation des textes - l'éradication de l'analphabétisme et la diffusion de la culture de la lecture et de l'écriture - l'élévation du niveau de culture dans les sociétés arabes - l'étude de la grammaire avec des approches modernes - l'arabisation des connaissances et de la terminologie scientifique - la conduite études scientifiques et objectives des dialectes arabes modernes.

Mots clés

Le Bilinguisme – La Langue commune – La langue particulière – Le dialecte – Le style.

ملخص البحث

يعالج هذا البحث ظاهرة لغوية معروفة في اللغات البشرية ، وهي ظاهرة اللغة واللهجات. فهي ظاهرة طبيعية للغات الكبيرة واسعة الانتشار غير أنها سلاح ذو حدين، فقد تكون لصالح اللغة وقد تكون ضدها.

تكون لصالحها إذا كانت اللهجات روافد للغة تمدها بالكلمات والمصطلحات المستجدة في المجتمع، وتساعدها على مواكبة الحياة والبقاء لغة حية، وقد تكون ضدها ، ذلك إذا أصبحت سببا في ضعفها، وعاملة من عوامل انشطارها.

وقد تصدى البحث لمعالجة هذا الموضوع من خلال المنهج الوصفي التحليلي، في ثلاثة فصول أولها: اللغة واللهجة. وفي هذا الفصل: مفهوم اللغة المشتركة واللغة الخاصة – جذور اللغة المشتركة واللغة الخاصة عند الفرد المتكلم – نشأة اللغة الخاصة – الفرق بين اللغة المشتركة واللهجة.

الفصل الثاني : اللغة العربية وازدواجية اللغة وفيه: عوامل نشأة اللغة العربية المشتركة – اللهجات العربية الحديثة وإشكالية علاقتها بالعربية الفصحى – أسباب هذا الموقف الحرج وحجمه.

الفصل الثالث:حلول مقترحة. وفيه الاهتمام بلغة الإعلام – الاهتمام بتشكيل النصوص – محو الأمية ونش ر ثقافة القراءة والكتابة – الارتقاء بمستوى الثقافة في المجتمعات العربية – دراسة قواعد اللغة بمناهج حديثة – تعريب المعارف والمصطلحات العلمية – إجراء دراسات علمية وموضوعية للهجات العربية الحديثة.

مصطلحات البحث

- ازدواجية اللغة. , - اللغة المشتركة., - اللغة الخاصة.

مقدمة

حياة اللغة مرهونة بمواكبة تطورات المجتمع ومستجداته فكلما أثبت اللغة مواكبتها للحياة كلما كانت لغة حية والعكس صحيح، وتحول اللغة إلى لغة الكتابة والأدب قد يربطها بالماضي ويبعدها عن الواقع، وخاصة إن وجدت لها لهجات، وهذه الحقيقة تمثل أكبر تحد لكل اللغات الكبيرة.

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع :

1-قد عانيت شخصيا من مشكلة اللغة الفصحى ولهجة عربية وأنا طالب من بلد ناطق بغير العربية في بلد عربي.

2-بوصفي متخصصا في اللسانيات، وهذا الموضوع في صميم علم اللغة الاجتماعي، وهو من أهم فروع اللسانيات.

3-إحساسي بالمسؤولية كمدرّب لأساتذة اللغة العربية في السنغال تجاه هذه اللغة من كل ما يهددها أو يشوّهها.

ومما يبرز أهمية هذا الموضوع :

4-هذا الموضوع يمثل مسألة مصيرية بالنسبة للغة العربية الفصحى، وما تحويه من حضارة وثقافة إسلامية.

2-الموضوع مرتبط بالحضارة الإسلامية التي تحمل قيمة إنسانية عالمية.

3-إثارة مثل هذا الموضوع توجيه ودعوة للاهتمام باللغة القومية وهي أهم عامل للوحدة وفيه أيضا الحث على القراءة والكتابة.

ومن أهداف هذا البحث :

1- تنبيه الباحثين إلى مسألة لغوية حساسة – تجاهلها أغلبهم – وهي العلاقة بين لغة الأدب ولغة الشارع بين اللهجات واللغة الفصحى.

2- إظهار أهمية اللغة القومية – كاللغة العربية – في الاحتفاظ بالثقافة والهوية وفي توحيد الأمة.

3- إظهار أهمية اللهجات المحلية في مساعدة لغة الكتابة ، على مواكبة مستجدات الحياة اليومية ومن ثم إبقاؤها لغة حية.

ومن إشكالية البحث :

1- أن نمو اللغة وانتشارها يؤدي إلى نشأة اللهجة وقد تكون اللهجة خطرا على اللغة الأدبية .

2-أن عدم نشأة اللهجة يعني انطواء اللغة على نفسها وعدم حيويتها وهذا خطر عليها وقد يؤدي إلى موتها.

3-كيف يمكن الحفاظ على توازن اللغة الأدبية بحيث لا تكون منطوية على نفسها ولا منشطرة بلهجاتها؟

4- هناك ظاهرتان متشابهان من حيث المفهوم ، لكنهما مختلفان شكلا ومضمونا، وهما : ظاهرة ازدواجية اللغة وظاهرة ازدواجية اللغة وظاهرة ثنائية اللغة. فهذه الأخيرة ظاهرة عادية، وهي أن يتقن ابن اللغة لغته الأم،

ثم يتقن معها لغة أخرى أو أكثر، بالتعلم أو بالاختلاط أو بالمعايشة. هذه هي ثنائية اللغة، أما ازدواجية اللغة، فهي تراكم لغوي على الفرد المتكلم بمستويات متباينة، وأحيانا متضاربة. بمعنى: أن يكون عند الشخص شكلان مختلفان في استعمال اللغة، الأول تلقائي بينما الثاني غير تلقائي؛ لأنه يأتي بالتعلم.

وسبب هذه الازدواجية هو إشكالية العلاقة بين اللغة الأدبية واللهجة وتأثير ذالك على الفرد المتكلم.

وهذا البحث يحاول معالجة هذه المسألة في دراسة مطبقة على اللغة العربية ، مع اقتراح حلول عملية لهذه الإشكالية بالنسبة للغة العربية

ومن أجل معالجة هذه المسألة وتحقيق تلك الأهداف، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض حقائق اللغة وحقائق اللهجة وطبيعة العلاقة بينهما، ومن ثم التحليل.

أولا :

اللغة واللهجة

1/ مفهوم اللغة المشتركة واللغة الخاصة

إذا عرفنا أن الكلام عبارة عن التطبيق العملي لنظام اللغة من قبل الفرد فما اللغة المشتركة؟

بمعنى آخر إذا كان الكلام ذا طابع فردي، وهو التطبيق العملي للغة، فمتى تكون اللغة ذات طابع جماعي؟ ليقال إنها لغة مشتركة الحقيقة هي أن ما يجعل اللغة ذات طابع جماعي هو ما يجعلها وسيلة للتواصل بين الأفراد المتكلمين، بمعنى أن الكلام فردي وجماعي في آن واحد، فهو فردي، لأنه ممارسة يقوم بها الفرد، وهو أيضا جماعي، لأن الفرد المتكلم لا بد أن تربطه خيوط لغوية بالمتكلمين الآخرين في نفس اللغة، وهذه الخيوط هي التي تجعل اللغة ذات طابع جماعي، ومن هنا تكون اللغة لغة مشتركة.

فاللغة المشتركة إذن هي "... الصورة اللغوية المثالية التي تفرض نفسها على جميع الأفراد في المجموعة الواحدة"[1].

الصورة المثالية هي الصورة المشتركة التي تربط بين المتكلمين للغة واحدة، "فمع اختلاف النطق باللغة الفصحى باختلاف الأفراد وباختلاف الأوطان يوجد قدر مشترك فيما بينهم في الأصوات وفي الصيغ وفي التراكيب هو الذي يكون اللغة المشتركة ..."[2].

فإذا عرفنا اللغة المشتركة اتضحت لنا ملامح اللغة الخاصة لأن هذه اللغة الخاصة تنبع من حقيقة اللغة المشتركة، إذ "... من الحقائق التي أكدتها الدراسات الحديثة أن اللغة من حيث هي تعبير مشترك بين أفراد الشعب الواحد هي واحدة لكنها تتعدد ... بتعدد الناطقين بها، فإن من المقرر أن اللغة الواحدة التي ينطقها شخصان تختلف ظواهرها وصفاتها الصوتية والتركيبية على لسان كل منهما. كما تختلف بصماتهما اختلافا جوهريا..."[3].

ومن هذه الحقيقة يتولد الأسلوب، ومن الأسلوب تتولد اللغة الخاصة فما الأسلوب إلا مظهر لغوي للفروق الفردية، وتزداد هذه الفروق كلما ازدادت الفوارق الاجتماعية والمكانية، والزمنية. وازدياد هذه الفوارق يؤدي إلى نشأة اللغة الخاصة، فهي خصائص لغوية لمجموعة تنتمي إلى لغة معينة.

---

[1] في علم اللغة العام ، ص169.

[2] نفسه والصفحة نفسها.

[3] في علم اللغة العام، ص163.

2/ جذور اللغة المشتركة واللغة الخاصة في الفرد المتكلم

إن مسألة اللغة واللهجة حقيقة تمتد إلى جذور اللغة ذاتها، وإلى أعماق الفرد المتكلم و "إذا نظرنا إلى السمات اللغوية في لغة ما على أنها مجموعة من الثوابت والمتغيرات، كانت السمات الثوابت، هي القواعد العامة التي تشكل النظام الأساسي للغة. أما المتغيرات فتمثل السمات التي يمكن للمنشئ أن يتعامل معها بقسط أوفر من الحرية"[1].

ولا شك أن المقصود بالثوابت هنا هو مستويات اللغة التي هي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام التركيبي، والمقصود بالمتغيرات هو طريقة تعامل الفرد مع هذه الأنظمة حسب الخيارات اللغوية.

من هنا تتولد اللغة المشتركة، وهي الثوابت واللغة الخاصة وهي المتغيرات. وإذا نظرنا إلى الفرد المتكلم نجد أن " اللغة بالنسبة إلى هذا الفرد تتمثل في مستويين: مستوى اللغة المشتركة التي تفرضها تقاليد راسخة وعامة هي في قوة القوانين الصارمة ومستوى اللغة الفردية التي يخلع فيها الفرد على لغته من خصائصه الذاتية"[2].

الفرد المتكلم إذن بين قوة اللغة وقوة الكلام، الأولى تتمثل في بصمات الانتماء الاجتماعي في استعمال اللغة، وتتمثل الثانية في بصمات الخصائص الشخصية في استعمال اللغة.

ومن هذه الأخيرة يبرز الأسلوب إلى الوجود. وقد عرف الأسلوب "... أنه الكلام المكتفي بنفسه المعزول..."[3]، نعم الأسلوب معزول، لأنه يميز صاحبه عن غيره من المتكلمين لنفس اللغة. ومن الأسلوب تأتي اللغة الخاصة، فالأول شخصي، والثانية، فئوية، الأول عبارة عن سمات فردية لظروف خاصة تتولد عنها خصائص لغوية للفرد، والثانية عبارة عن سمات جماعية لظروف خاصة تتولد عنها خصائص لغوية.

3/ أسباب نشأة اللغة الخاصة واللهجة

قد سبقت الإشارة إلى أن الفرد المتكلم بين قوة اللغة وقوة الكلام وأن هذه الأخيرة تتمثل في بصمات الخصائص الشخصية في استعمال اللغة، ومن هذه البصمات يبرز الأسلوب إلى الوجود ومن الأسلوب تأتي اللغة الخاصة. والحقيقة هي أن اللغة الخاصة ليست إلا مجموعة من الأساليب لمجموعة من متكلمين تجمعهم ظروف خاصة، لأن السبب الرئيسي لنشأة اللغة الخاصة " يرجع إلى اختلاف الناس في الإقليم الواحد، وما يكتنف كل طبقة من شؤون في شتى مظاهر الحياة "[4]، فاختلاف ظروف الحياة بين المجموعات التي تعيش في مجتمع واحد يؤدي إلى نشأة لغة خاصة

[1] مصلوح.سعد.الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية.ط3.القاهرة.1992م.ص54

[2] شاهين.عبد الصبور.في علم اللغة العام.ط4.بيروت.1403ه – 1982م. ص172

[3] حولة.عبد الله.الأسلوبية الذاتية.العدد الأول. المجلد الأول.القاهرة. مجلة فصول.أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر.1984.ص89

[4] عبد التواب.رمضان.المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.ط3.القاهرة.مكتبة الخانجي.1417ه- 1997م.ص179

لكل مجموعة، إذ "من النادر أن تبقى إحدى اللغات دون أن تنفذ إلى مجموعات اجتماعية مختلفة "[1].

فتوجد في مجتمع واحد مجموعة المثقفين، ومجموعة الفلاحين، ومجموعة الصناعيين وغير ذلك من المجموعات ولكل مجموعة شؤون خاصة بها، الأمر الذي يدفعها إلى توظيف اللغة في مفردات وتعبيرات تعكس شؤونها الخاصة، "ومن المسلم به أن اللغة : تتغير تبعا للطبقة التي تتحدث بها.

وقد صرح بعض هواة اللغويات... بأن هناك نوعين من اللغة أحدهما وقف على الطبقة الراقية ولا يمتد استعماله إلى الطبقة الدنيا، والآخر لا يستخدمه إلا أفراد الطبقة الدنيا..."[2] ويؤكد فندريس: "كانت عندنا هيئة منظمة حقا للأشقياء، وكانت لها لغتها الخاصة المتفق عليها، والتي كان يعمل كل عضو من أعضاء الهيئة على المحافظة عليها"[3]."

وكثيرا ما يؤدي التفاوت بين طبقات المجتمع إلى نشؤ لغات..."[4] وهكذا تنشأ اللغات الخاصة في مجمع لغوي واحد نتيجة لاختلاف ظروف المجموعات الاجتماعية في هذا المجتمع، وذلك أن اللغة مرآة صادقة للمجتمع صاحب اللغة، تصوّر كل ما في المجتمع من انسجام وتناقض.

هذه هي اللغة الخاصة، وتلك أسباب نشأتها. أما اللهجة فهي أوسع من اللغة الخاصة، وإن كان نفس المنطلق الاجتماعي الذي يؤدي إلى نشأة اللغة الخاصة هو الذي يفتح منفذا لغويا لبروز اللهجة، فإن اللهجة تأتي من أسباب أوسع وأكثر تعددا، وأهم هذه الأسباب:

1- اتساع اللغة وانتشارها:

قد تتسع اللغة وتنتشر، إما لنموها الطبيعي في داخل موطنها وذلك بازدياد عدد أفراد المجتمع صاحب اللغة، مثل ما حصل للغة الصينية في الصين، وكذلك اللغة الهندية في الهند.

إما أن تتسع وتنتشر اللغة بسبب انتصارها في صراع لغوي على لغة أخرى وقضائها عليها، ثم ضم أفرادها إلى الناطقين بها. كما حصل للغة العربية بعد انتشار الإسلام، وذلك في قضائها على اللغة السريانية في الشام، وعلى اللغة القبطية في مصر، وعلى اللغة الحميرية في اليمن.

---

[1] نفسه، ص160.

[2] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص130.

[3] فندريس، اللغة .ترجمة عبد الحميد الداخلي ومحمد القصاص. القاهرة.1995م ص31

[4] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص131.

وإما أن تتسع اللغة وتنتشر بسبب هجرة أفراد الناطقين بها إلى مناطق أخرى جديدة، وبعيدة عن أوطانها الأصلية ثم تغلبت على لغة أهل المنطقة الجديدة، إلى جانب تكاثر الأفراد الناطقين الأصليين بها، وذلك كما حصل للغة الانجليزية عند ما هاجرت الأفراد الناطقون بها من أوربا إلى أمريكا، الأمر الذي أدى إلى اتساعها وانتشارها.

2- البيئة الخاصة:

وهي اختلاف الأقاليم، وما يحيط بكل إقليم من ظروف. وغالبا ما يكون ذلك حال انتشار اللغة بالهجرة من قبل الناطقين بها إلى مناطق مختلفة.

وعند ما نتحدث عن البيئة إنما نتحدث عن المكان الخاص والظروف المحيطة به، ويكون هذا المكان الخاص سببا موضوعيا لنشأة اللهجة لأن:

أولا: المكان الخاص يعني ظروفا خاصة مختلفة عن ظروف المكان الأول الذي جاءت منه الجماعة المنتمية إلى المجتمع صاحب اللغة ، وهذه الظروف الخاصة تنعكس على اللغة، على المستوى الصوتي، فينشأ أداء صوتي مختلف عن الأداء الصوتي الأول، كما تنعكس على المستوى الدلالي فتنشأ مفردات وتعبيرات مختلفة، كما قد ينشأ استعمال جديد للمفردات والتعبيرات القديمة فهذه الطوارئ الجديدة إنذار قوي بولادة لهجة.

ثانيا: إذا كان المكان الخاص بسبب الهجرة، وانتقال جماعة من الناطقين باللغة إلى مكان آخر يعني ذلك مجاورة أمم أخرى واحتكاك لغوي بين لغة هذه الجماعة وبين لغة أو لغات تلك الأمم و " من المقرر أن أي احتكاك يحدث بين لغتين... أيا كان سبب هذا الاحتكاك ومهما كانت درجته... يؤدي لا محالة إلى تأثر كل منهما بالأخرى"[1]. ونتيجة هذا التأثر ظهور تغير واضح، وتطور لافت للنظر في اللغة من خلال وجود استعمال جديد لعدد من المفردات والتعبيرات القديمة، وولادة مفردات وتعبيرات جديدة، وأيضا من خلال نشأة أداء صوتي جديد لكثير من المقاطع الصوتية للغة، وهنا ولادة لهجة جديدة.

3- الزمن

قد يبقى الناطقون باللغة في مكانهم الأصلي ولا ينتقلون إلى مكان آخر، وقد لا تتسع لغتهم، بل تنحصر في مكان ضيق. ومع ذلك كله قد تنشأ لهذه اللغة لهجات فما السبب؟

ما يجعل الزمن سببا من أسباب نشأة اللهجة أمران:

الأمر الأول: يكون فيه الزمن عاملا أساسيا لنشأة اللهجة إلى جانب سبب آخر من السببين المذكورين آنفا، وهما: اتساع اللغة والبيئة الخاصة وذلك أننا نلاحظ أن اتساع اللغة لا يكون سببا لنشأة اللهجة إلا إذا أخذ هذا الاتساع زمنا طويلا، لأن ولادة اللهجة تمر عبر تغير اللغة وتطورها، ولا شك أن هذا التطور يحتاج إلى الزمن. وبالنسبة للبيئة الخاصة، فهي مرتبطة بظروف خاصة ولكي تتكون هذه الظروف الخاصة لا بد

[1] وافي. علي عبد الواحد. اللغة والمجتمع.القاهرة.دار نهضة مصر للطباعة والنشر. 1971م.ص29

من زمن طويل، وخاصة إذا عرفنا أن انعكاس الظروف الخاصة على اللغة أمر تدريجي كما أن إيقاع تطور اللغة بطيء.

الأمر الثاني: ويكون فيه الزمن عاملا منفردا

ويكون ذلك في اللغة الكبيرة التي لها حروف هجائية، فأصبحت لها صورتان، صورة منطوقة وصورة مكتوبة بحيث يضطر أبناء هذه اللغة على تعلمها، ففي هذه الحالة نجد إمكانية نشأة لهجات على مستوى اللغة المنطوقة بسبب الزمن، وذلك أن الذين يعتمدون على التعلم لتلقي اللغة وممارستها تكون لغتهم قريبة من اللغة المكتوبة الأدبية، وأقرب إلى الثبات، وأشبه بلغة السلف، وتمثل هذه اللغة اللغة الانموذج التي ينبغي أن تكون اللغة المشتركة، لأن الناطقين باللغة ينطلقون منها ويرجعون إليها. بينما الذين لا يعتمدون على التعلم لتلقي اللغة وممارستها تكون لغتهم غير قريبة من اللغة المكتوبة أبعد عن الثبات.

من هنا نجد أمامنا لغتين إحداهما قريبة من اللغة المكتوبة، بمعنى أن فرصة التغير فيها ضئيلة، لأنه مرتبطة بالكتابة، والكتابة ثابتة. أما الثانية فغير قريبة من اللغة المكتوبة، بل الاعتماد فيها على الشفاهة، بمعنى أن فرصة التغير فيها كبيرة.

وفي هذه اللغة الثانية الخاصة الشفوية يتدخل الزمن ليكون سببا لنشأة لهجة أو لهجات منها، وذلك عندما تنتقل هذه اللغة الشفوية من السلف إلى الخلف، ويأخذ هذا الانتقال زمنا طويلا عبر أجيال متلاحقة. الأمر الذي قد يؤدي إلى تغير عضوي في جهاز النطق أو في استعدادها مهما كان مبلغه يتبعه تطور في أصوات الكلمات فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر ملائمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق"[1] للأجيال المتأخرة.

طول الزمن إذن أدى هنا إلى تغير وتطور عضوي في أعضاء جهاز النطق للجيل المتأخر، وأدى ذلك إلى اختلاف بينهم وبين سلفهم في النطق بأصوات لغتهم " ومن ثم لم يكن بد من أن يحدث في أصوات اللغة انحراف تبعا لما يمتاز به هؤلاء عن أولئك من خصائص ناشئة عن التطور الطبيعي في أعضاء النطق ولما تقتضي به سنن الطبيعة من اختلاف هذه الأعضاء في كل جيل عنه في الجيل السابق له"[2].

وهذا ما حدث فعلا في اللغات الكبريات كالعربية والانجليزية والفرنسية ففي العربية نجد أنها انقسمت إلى لهجات متعددة، وهي منحصرة في الجزيرة العربية، ذلك قبل الإسلام، فقد كانت هناك لهجات عربية قديمة كلهجة تميم وأسد وربيعة وهذيل وطئ وغيرها.

[1] وافي،علي عبد الواحد، مرجع سابق، ص 67.

[2] نفسه، ص67 -68.

4/الفرق بين اللغة المشتركة واللهجة

في اللغات الإنسانية ظاهرة معروفة، وهي ظاهرة اللغة المشتركة واللهجة ووصفها علماء اللغة قديما وحديثا. ففي الدرس اللغوي القديم ما يسمى باللسان واللغة. وفي الدراسات اللغوية الحديثة ما يقابل هذين المصطلحين وهو اللغة واللهجة، فما الفرق بينهما؟

أما اللغة فقد تعرضت لتعريفات كثيرة قديما وحديثا، غير أني أكفتي هنا بتعريف ابن جني، إذ عرف اللغة بأنها: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].

فالأصوات تحديد لطبيعة اللغة، وهي مشتركة بين اللغة واللهجة فكلتاهما أصوات أما الحروف فهي محاكاة تابعة للأصوات.

والكلمة ((يعبر)) تحديد للعلاقة النفسية بين الأصوات، وكل من المتكلم والمخاطب، وهي أيضا مشتركة بين اللغة واللهجة والعبارة ((كل قوم)) تميز اللغة عن اللهجة؛ إذ الأولى مرتبطة بقوم، والثانية مرتبطة بمجموعة منتمية إلى هؤلاء القوم وجزء منهم.

أما اللهجة فهي مجموعة من الصفات اللغوية الخاصة، تنتمي إلى بيئة خاصة بمجموعة لغوية منتمية إلى مجتمع لغوي أكبر منها.

من خلال هذا التعريف لكل من اللغة واللهجة يتبين لنا الفرق بينهما وهو كالآتي:

1- إن اللغة سلوك قومي كلي، بينما اللهجة صفة جزئية خاصة من هذا السلوك القومي.

2- اللغة تكون على المستوى القومي في حين نجد أن اللهجة تكون على المستوى البيئي المحلي.

3- اللغة هي الأصل والأساس العام، أما اللهجة، فهي فرع من هذا الأصل وثانوي على المستوى القومي.

تلك هي اللغة واللهجة، وهذا هو الفرق بينهما، وظاهرة ((اللغة واللهجة)) ظاهرة لغوية معروفة.

وإذا نظرنا إلى حقيقة العلاقة بين اللغة المشتركة واللهجات المحيطة بها نجد أنها من حيث الاستعمال أقرب إلى علاقة الأساس بالفروع، ومن حيث النشأة، فإن اللغة قد تكون أساس نشأة اللهجات وقد يكون العكس، بمعنى: إن اللغة المشتركة قد تنشأ على أكتاف لهجات محلية وذلك كما نشأت اللغة العربية الفصحى على أكتاف لهجة قريش واللهجات العربية القريبة منها والبعيدة، وذلك عند ما توافرت ظروف ساعدت على هيمنة لهجة قريش على هذه اللهجات، وذلك أن وجود هذه اللهجات في الجزيرة العربية أسبق من توافر تلك الظروف، كما أن توافر هذه الظروف أسبق من تكون اللغة العربية

[1] ابن جني.عثمان.الخصائص.ط2.بغداد.تحقيق علي النجار.1990م.ص 34/1.

الفصحى. وقد تنشأ اللهجات المحلية على عاتق اللغة المشتركة، كما نشأت اللهجات العربية الحديثة على عاتق اللغة العربية الفصحى.

ثانيا:

اللغة العربية وازدواجية اللغة.

1/ عوامل نشأة اللغة العربية المشتركة

تنشأ وتتكون اللغة المشتركة في أي مجتمع لغوي عندما تجتمع عوامل معينة، وتختلف هذه العوامل حسب الظروف والمعطيات ، فقد توجد لغة ثم تكبر وتتوسع، فتتولد منها لهجات، من ثم تكون هذه اللغة لغة مشتركة لأصحاب هذه اللهجات.

وقد تنشأ لهجات من لغة كبيرة ثم تموت هذه اللغة ثم يحدث احتكاك بين هذه اللهجات بعضها ببعض وتنتج من هذا الاحتكاك لغة مشتركة لأصحاب هذه اللهجات.

هناك إذن لغة مشتركة تتولد منها لهجات، وقد توجد لهجات تتولد منها لغة مشتركة. فالحالة الأولى لا يهمنا، وإنما نحتاج هنا إلى البحث عن عوامل نشأة اللغة المشتركة في الحالة الثانية.

وذلك أن هذه الحالة تنطبق على اللغة العربية بالنظر إلى اللهجات العربية القديمة، إذ كانت هناك لهجات عربية قديمة مثل لهجة قريش وتميم وأسد وهذيل وطيء وكنانة وغيرها. وكانت كل لهجة من هذا اللهجات مختلفة عن غيرها في جوانب صوتية ودلالية وربما صرفية ثم حصل احتكاك فيما بينها ونتج عن هذا الاحتكاك ولادة لغة مشتركة بين العرب، غير أن هذا الاحتكاك كان مبنيا على أساس لغة محورية موجودة، وهي لهجة قريش، وهكذا "تقوم اللغات المشتركة ... على أساس لغة موجودة حيث تتخذ هذه اللغة الموجودة لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفي التكلم"[1]. تتخذ اللغة الموجودة لغة مشتركة أي: تحول لغة موجودة إلى مشتركة، بعوامل معينة.

فما العوامل التي أدت إلى تحويل لهجة قريش لغة مشتركة بين العرب؟

هناك عوامل جعلت لهجة قريش اللغة المحورية التي دار حولها احتكاك اللهجات العربية القديمة بعضها ببعض، مما أدى إلى ولادة لغة مشتركة، وأهم هذه العوامل:

أ- العامل الديني

من المعروف أن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد أسكن جزءا من ذريته ـ هاجر وإسماعيل ـ في مكة ثم بنى في هذا المكان هو وولده إسماعيل الكعبة " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِيَتِي بِوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"[2].

[1] فندريس، اللغة ص 328.

[2] سورة إبراهيم، الآية 37.

ومن المعروف أن القبيلة العربية جرهم قد هاجرت إلى هذا المكان الذي كان يسكنه سيدنا إسماعيل وأمه هاجر ـ عليهم السلام ـ ثم تزوج من هذه القبيلة، وكانت من ذريته قريش، وبذلك أصبحت مكة ـ موطن قريش ـ عاصمة دينية للعرب يحجون إليها في كل سنة وكان ذلك الفرصة الأولى لاحتكاك لهجاتهم بعضها ببعض كما كانت فرصة لانتشار لهجة قريش بين العرب وكذلك كانت فرصة ذهبية لتعديل نفسها وتقويتها بالأخذ والعطاء، والتأثر والتأثير؛ إذ كان لزاما على الوافد أو الحاج إلى مكة أن يهيئ نفسه للتعامل مع مضيفيه القرشيين بلهجتهم، والتعامل مع هذه اللهجة فينقل إليها من لهجته الشيء القليل المناسب ويأخذ منها الشيء الكثير من عناصر تعبيرية، فيرجع إلى قبيلته وعلى لسانه هذا الشيء الكثير فيشيعها بين أفراد قبيلته. وهكذا بدأت لهجة قريش تعزو لهجات القبائل العربية الأخرى في عقر دارها. وهذا ما أشار إليه ابن فارس في قوله: "... فجعل قريش قطان حرمه وجيران بيته الحرام ، وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ... إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم ... أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائفهم التي طبعوا عليهم فصاروا بذلك أفصح العرب"[1].

من هنا ندرك أن العامل الديني هو العمود الفقري والعامل الأساسي للعوامل التي حولت لهجة قريش إلى لغة مشتركة للعرب، وما قول ابن فارس: فصاروا بذلك أفصح العرب إلا تعبير دقيق لهذا المعنى

ب ـ العامل التجاري:

هذا العامل نتيجة طبيعية وامتداد منطقي للعامل الأول ذلك أن تجمع القبائل العربية في مكان واحد ، ومكوث أفرادها في هذه المكان مدة طويلة يولد احتياجات ضرورية لهؤلاء من مأكل ومشرب وملبس وأدوات وغيرها من ضرورات الحياة . ولا شك أن هذه الحال تمثل تربة خصبة للتجارة، والتجارة في حاجة إلى لغة مشتركة بين البائع والمشتري، فكانت هذه اللغة المشتركة هي لهجة قريش، ومن هنا بدأت تكتسب سمات اللغة المشتركة بين العرب.

ج ـ العامل اللغوي الأدبي:

وقد كان هذا العامل عن طريق الموهوبين في التعبير اللغوي من شعراء وغيرهم؛ إذ أدرك هؤلاء الموهوبون أن هذا التجمع السنوي لقبائل العرب يمثل فرصة مواتية لعرض ما عندهم من إنتاجات أدبية.

ولا شك أن ضرورة التواصل الأدبي تقتضي توحيد لغة الكتابة وذلك من أجل توصيل الرسالة الأدبية التي يريد الشاعر توصيلها إلى المستهدفين. فكانت لهجة قريش لغة الكتابة الموحدة للعرب.

[1] ابن فارس.الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .ط1.بيروت.تحقيق مصطفى الشويمي.مؤسسة بدران للطباعة.1383ه-1963م.ص306.

وبذلك أصبحت لهجة قريش لغة الكتابة التي يحاول كل شاعر أن يكتب بها شعره حتى لو كانت لهجة قبيلته مختلفة عن لهجة قريش، فكان الشاعر التميمي يكتب شعره بلهجة قريش وكذلك الشاعر الربيعي، والقيسي والأسدي والهذلي وهلم جرا.

وهذا هو السبب في كون الشعر الجاهلي كله مكتوبا بلغة قريش مع أن أكثرهم ليسوا قرشيين.

وهكذا أصبحت لهجة قريش لغة الكتابة للعرب قبل الإسلام بقبائلهم الشتى، وأصبحت النصوص الأدبية مروية بلهجة قريش ، ومن هنا بقيت لهجة قريش جاهزة لتكون عامل توحيد لكل العرب بقبائلهم المختلفة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فكان ذلك كله إرهاصات لغوية لظهور الإسلام فلما ظهر اكتملت الصورة هكذا كانت لهجة قريش لغة محورية وكونت مع روافدها لغة مشتركة لجميع العرب[1].

2/ اللهجات العربية الحديثة وإشكالية علاقتها بالعربية الفصحى

فقد جاء الإسلام، وتمكن وأصبح دينا ودولة، فأصبحت اللغة العربية ذات مكانة مرموقة إذ أصبحت لغة الدولة والدين، ثم استوعبت ثقافة الشعوب غير العربية التي دخلت في الإسلام كالفرس، والروم والحبشة، والأتراك والأكراد، والهند وغيرها فتداخلت اللغة العربية مع لغات هذه الشعوب وأثرت فيها وتأثرت أخذا وعطاء وكان ذلك تجربة فريدة من الناحية اللغوية تركت بصماتها في اللغة العربية.

بعد هذه التجربة جاءت تجربة أخرى أثرت في اللغة العربية تأثيرا أكبر وهي تفرق العرب وانتشارهم في بقاع الأرض خارج الجزيرة العربية لنشر الإسلام والهجرة، أو لأسباب سياسية أو اقتصادية. قلت إن هذه التجربة أكبر من التجربة الأولى لأنها خلقت سببا جغرافيا لتغيّر اللغة العربية ويتمثل هذا السبب في تعدد بيئات المجتمع اللغوي الواحد، ونعني به تفرق المجتمع اللغوي الواحد إلى المجتمعات، واتخاذ كل مجموعة منها بيئة جغرافية مختلفة عن البيئة التي اتخذتها المجموعة الأخرى.

وهذا هو السبب الأساسي لنشأة لهجات متعددة من لغة واحدة. وتكون هذه اللهجات المتباينة بحيث تكون لكل واحدة منها خصائص لغوية تعكس طبيعة بيئتها الخاصة وهذه الحقيقة هي التي حصلت للغة العربية الفصحى وذلك من جراء تلك التجربة المذكورة آنفا، إذ نشأت منها لهجات عربية، فكانت لكل دولة عربية لهجتها التي تعكس طبيعة بيئتها الجغرافية والاجتماعية.

فأصبحت هناك لغة عربية فصحى تمثل لغة الكتابة والأدب والأمور الرسمية، وإلى جانبها لهجات محلية تمثل لغة التخاطب اليومي. وهذه ظاهرة معروفة في كل اللغات الإنسانية.

[1] أنظر: جوب.سيدنا علي.البرهان في فقه لغة القرآن.ط2.القاهرة.دار الاتحاد للطباعة.2017م.ص 99

آثار ازدواجية اللغة:

هذه الظاهرة ظاهرة إنسانية موجودة في كل لغة طبيعية عندما تتسع وتحتك بغيرها من اللغات. فهي نتيجة من نتائج الصراع اللغوي إذ توفر فيه عاملان مهمان : الزمن والبيئة الخاصة، ولهذه الظاهرة آثار في حياة المجتمع واللغة وأهم هذه الآثار

الآثار اللغوية:

تبدأ ازدواجية اللغة على شكل اللحن والانحراف عن النمط المألوف في استعمال اللغة وقد مرت اللغة العربية بهذه المرحلة، وذلك عندما كثر الحديث عن لحن العامة. فألف العلماء كتبا في ذلك مثل الزبيدي، بل منهم من ألف في لحن الخاصة. ثم تأتي بعد هذه المرحلة مرحلة التمايز اللغوي، وهي أن تتميز لغة الطبقة المثقفة عن لغة الطبقة غير المثقفة في مجتمع واحد ثم تأتي مرحلة ازدواجية اللغة، وهي أن يكون عند كل فرد من أفراد المجتمع اللغوي شكلان مختلفان في استعمال اللغة، الأول تلقائي حسب السجية والثاني نمطي غير تلقائي.

المرحلة الأولى : عبارة عن أشكال تعبيرية متناثرة على المستوى الصرفي والدلالي، وهي علامة على كون اللغة مستقلة غير تابعة لغيرها كما أنها دلالة تطور اللغة وتغيرها.

أما المرحلة الثانية : فأشكال لغوية تتركز على المستوى المعجمي. بصورة كبيرة، وعلى المستوى الصرفي بصورة أقل، وهي موجودة في أغلب اللغات الكبيرة التي تسمى لغة الفكر والعلم.

بينما نجد أن المرحلة الثالثة : أنماط لسانية على جميع مستويات اللغة الصوتية والصرفية والتراكبية والدلالية بصورة كبيرة وهي ظاهرة غير صحية ولا توجد إلا عند عدد قليل من اللغات الكبيرة، لأنها بداية انشطار اللغة إلى لغات متعددة.

وما مضى يعني أن الفجوة الموجودة بين النمط المألوف والانحراف الناشئ في المرحلة الأولى فجوة ضيقة، وكذلك الفجوة بين لغة الطبقة المثقفة ولغة الطبقة غير المثقفة في المرحلة الثانية فجوة ضيقة، وعليه لا يعد وجود الظاهرتين في المرحلتين خطرا على اللغة، وهذا على خلاف المرحلة الثالثة، حيث توجد فجوة كبيرة بين الشكل النمطي في استعمال اللغة، والشكل التلقائي عند أفراد المجتمع اللغوي، لذلك قلنا آنفا: إن المرحلة الثالثة ظاهرة غير صحية، وأنها بداية انشطار اللغة.

الآثار الاجتماعية:

وهكذا تتضح لنا حقيقة التفاوت بين المراحل التي تمر بها اللغة في ظاهرة ازدواجية اللغة، فنجدها عند بعضها طفيفة وعادية، وذلك عند ما تنحصر اللغة في المرحلة الثانية أو الأولى ولا تتعداها، كما هو الحال في اللغات الأوربية الحديثة مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرهما.

وقد نجدها عند بعض اللغات شديدة وغير عادية، وذلك عند ما تنفلت وتتعدى المرحلة الثانية إلى المرحلة الثالثة، كما هو الحال في اللغة العربية.

ومن هنا كانت الضجة حول هذه الظاهرة في اللغة العربية لدرجة يرى بعض الباحثين " ... أنها بلية عظيمة، ذلك أن التلميذ عند ما يتكلم في المدرسة غير ما كان يتكلمه قبل دخولها يشعر بعدم التلذذ بالقراءة وبالنفور منها زد على ذلك أن الفصحى تتطلب وقتا طويلا لتعلمها فتكون الازدواجية بالتالي سببا من أسباب تأخر وبلية أذهاننا"[1].

وكانت نتيجة ذلك، الدعوة إلى نبذ الفصحى، والتمسك بالعامية، وكانت بداية هذه الدعوة سنة 1880م على يد الألماني ((Dr : Wilhelm Spitta)) وكان أشهرها دعوة أنيس فريحة سنة 1955 في كتابه :[*نحو عربية ميسرة*] " ودعا فيه إلى أن تصبح لنا لغة واحدة، وهي لغة الحياة معتبرا أن الفصحى لغة أجيال مضى عهدها، وهي بالتالي عاجزة عن أن تعبر عن الحياة، أما العامية فلغة حية متطورة نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طبيعية للفهم والإفهام والتعبير عن دواخل النفس"[2].

ولا شك أن مثل هذه الدعوات لو نجحت- لا سمح الله- لكانت الكارثة، وإذا ترك الأمر على ما هو عليه الآن لكانت النتيجة الحتمية انشطار اللغة العربية إلى لغات متعددة، وهذه بلية كبرى اجتماعيا وثقافيا على المجتمع العربي. إذ ((اللجوء إلى استعمال اللهجات يعني بالضرورة خلق كيانات منعزلة مستقلة بعدد اللهجات المختلفة، وهو أيضا باب من احتمال التمزق العربي إلى كيانات أصغر))[3].

3/ أسباب هذا الموقف الحرج وحجمه

هناك أسباب موضوعية وأخرى غير موضوعية تكمن وراء هذه المشكلة أما الموضوعية، فمنها أن هذه اللهجات الحديثة تنطوي على لهجات عربية قديمة أقدم من اللغة العربية الفصحى، ويتمثل ذلك في البعد اللهجوي الذي يعود إلى اللهجات العربية القديمة. وهذه الحقيقة تمثل تجربة ومغامرة لغوية للغة العربية.

وهذه التجربة نادرة في حياة اللغة، بل فريدة. فاللغة الفرنسية مثلا كانت لهجة من لهجات اللغة اللاتنية، ثم استقلت، وأصبحت لغة مستقلة قائمة بذاتها، ثم تطورت لتصبح لغة الفكر والعلم، واتسعت بفعل التوسع الاستعماري، وأصبحت لها لهجات وأشكال لغوية في مستعمراتها في إفريقيا والعالم العربي وأمريكا، بل في داخل فرنسا ذاتها.

ولو أردنا تلمس أبعاد لغوية لهذه اللهجات الفرنسية ، قد نجد لها بعدا يعود إلى اللغة الفرنسية الفصحى وبعدا آخر يعود إلى الظروف البيئية المحلية كاللغات المحلية لكن من الصعب أن نجد لها بعدا يعود إلى لهجات فرنسية قديمة أقدم من اللغة الفرنسية الحالية.

---

[1] معلوف .اسكندر.اللغة الفصحى واللغة العامية. بيروت.مجلة الهلال العدد12.المجلد15./ 1912م.ص376

[2] فريحة.أنيس.نحو عربية ميسرة.دار الثقافة .1955م.ص150.

[3] في علم اللغة العام ص 277

وما قيل عن اللغة الفرنسية ينطبق على جل لغات العالم، ومنها اللغات الأوربية الحديثة، من هنا ندرك مدى التباين بين طبيعة لهجات هذه اللغات، وبين طبيعة اللهجات الحديثة للغة العربية.

هذه من الأسباب الموضوعية. أما الأسباب غير الموضوعية فمنها اللامبالاة، والتعامل غير الإيجابي من قبل الباحثين العرب المعاصرين. فبعضهم يرى أن هذه اللهجات العربية الحديثة سرطان يجب القضاء عليه بعصى سحرية، وهو غير جاد في ذلك من الناحية العملية.

وبعض آخر يرى ضرورة نبذ العربية الفصحى والتمسك باللهجات وكفى الله المؤمنين القتال.

وفريق ثالث فضل أن يأكل عيشه بجبنه، وألقى الحبل على الغارب منتظرا الحل من السماء معللا بقوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[1].

ولا شك أن أيا من تلك الموافق لا يمكن أن يأتي نتيجة إيجابية وهكذا اتسعت الفجوة بين العربية الفصحى ولهجاتها الحديثة إلى هذه الدرجة الخطيرة " فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يرى إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابية ..."[2] هذا الاختلاف الذي يمزق شمل المجتمع في كل دولة من الدول العربية ويهدد تراثه بالتبديد وأخطر ما يهدد بتمزيق شمل هذه الدول العربية " هو هذا التنوع اللهجي الذي ينبغي أن تتعاون الجهود للقضاء عليه"[3] من خلال حلول مبينة على أسس عملية.

ثالثا :

حلول مقترحة

هذا هو الموقف، ولا شك أنه موقف حرج بل موقف مهدد يستدعي التدارك قبل فوات الأوان، وهناك مقترحات عملية نرى أنها يمكن أن يسهم في هذا التدارك ويشكل جزءا من الحلول المنشودة، وأهمها:

1/الاهتمام بلغة الإعلام الموسوعة والمرئية والمقروءة

إذ تعد لغة الإعلام أهم عامل يؤثر على لغة الناس في المجتمع من جميع الشرائح والفئات إيجابا أو سلبا، فهي تدفع بتطور اللغة إلى اتجاه معين، كما تساعد على تضييق الفجوة بين فئات المجتمع في التعبير اللغوي، لأن الناس يتأثرون في لغتهم بما يسمعون ويشاهدون.

---

[1] سورة الحجر، الآية 9

[2] في علم اللغة العام، ص 269 (كلام نقله الدكتور عبد الصبور شاهين عن المستشرق الالماني ولهلم سيبتا بدون توثيق)

[3] نفسه، ص 230

ومن هنا تجب العناية بلغة الإعلام من حيث توحيدها، وجعلها أقرب إلى الفصحى، والتزام السلامة فيها على جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية ، وما نراه الآن هو الازدواجية في لغة الأعلام، وهو أن المذيع يلتزم لغة أقرب إلى الفصحى عندما يقرأ نصا مكتوبا في الأخبار أو التقرير، مع الأخطاء اللغوية أحيانا في قراءتها.

أما عند ما يجري مقابلات أو حوارات أو استطلاع أو تغطيه إعلامية فيلجأ إلى اللهجية المحلية، ولا شك أن هذا السلوك يزيد الطين بلة، وهذا الكلام ينطبق على كثير من أجهزة الأعلام العربية ما عدا العالمية منها كالجزيرة و BBC وغير هما. وإذا قارننا أجهزة الأعلام العربية الوطنية بأجهزة الإعلام غير العربية في هذا الأمر لوجدنا الفرق كبيرا.

2/الاهتمام بتشكيل النصوص:

يلاحظ تنازل الكاتب باللغة العربية عن تشكيل النصوص بالحركات والتهاون في ذلك على جميع المستويات، الأمر الذي أدى إلى مشاكل كثيرة أهمها: كثرة الأخطاء في قراءة النصوص والتنفير من اللغة العربية والتنفير من القراءة في اللغة العربية. واتهامها بالصعوبة وما مقولة قاسم أمين منا ببعيدة وهي " في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم، أما في اللغة العربية فإنه يفهم ليقرأ ...لذلك كانت القراءة عندنا من أصعب الفنون"[1].

ولا شك أن هذا الكلام لا ينطق إلّا على النص غير المشكل بالحركات. ومن المشاكل الناجمة عن عدم التشكيل: التخبط، التباين في قراءة المفردات، وغير ذلك من المشاكل وبناء على ما مضى يجب تشكيل النصوص ذات الطابع الجمهوري، مثل النصوص المدرسية والجامعية، والصحف والجرائد، والكتب الثقافية واللغوية والأدبية، والرسائل الإدارية والرسمية، والإعلانات.

3/محو الأمية ونشر ثقافة القراءة والكتابة:

وذلك أن المرجعية اللغوية للأمي تنحصر فيما يسمعه من أسرته والمحيطين به. وغالبا ما يكون ذلك لهجة محلية. أما الذي يعرف القراءة والكتابة فتتعدى مرجعيته اللغوية المحيط المحلي إلى كل ما يقرأه من كتب وجرائد ومجلات مكتوبة باللغة الفصحى، وإلي كل ما يشاهده من مشاهد استعملت فيها اللغة الفصحى، ومن شأن ذلك أن يهذب لغته ويقربها إلى المستوى الأكثر فصاحة.

4/الارتقاء بمستوى الثقافة في المجتمعات العربية:

فاللغة مرتبطة بالفكر فإذا ارتقى مستوى الفكر عند فئة معينة في المجتمع ارتقى معه مستواهم اللغوي. ومن هنا تأتي ضرورة نشر العلم أفقيا من خلال توصيله إلى جميع

[1] في علم اللغة العام، ص 282

فئات المجتمع، وعموديا من خلال التركيز على النوعية، نوعية في المناهج وفي المدرس وفي المحتوى وفي الوسائل والطريقة.

5/دراسة قواعد اللغة بمناهج حديثة :

وذلك لتيسيرها وتخليصها من الشوائب والخلفيات الفلسفية والمنطقية التي علقت بها عبر القرون وجعلها مرغوبا فيها وجذابة.

6/تعريب المعارف والمصلحات العلمية:

تدريس المعارف العلمية واستعمال المصطلحات العلمية بلغات أخرى في المجتمعات العربية يعني تهميش اللغة العربية وإماتتها، وعليه يجب استيعاب المعارف والمصطلحات العلمية في اللغة العربية لجعلها لغة حيوية تواكب الحياة، ومما يساعد على ذلك استعمال وسائل نمو اللغة – كما هي معروفة في علم اللغة- استعمالا دقيقا لجعل اللغة العربية مواكبة للمستجدات العلمية والثقافية، وجعلها لغة العلم والثقافة والإبداع بكل ما لهذه الكلمة من معنى بحيث تدرس بها جميع العلوم والتخصصات بدون استثناء " فإذا أتحنا للغة العربية أن تستوعب المصطلحات ... الجديدة الخاصة بالاختراعات أثرينا اللغة... "[1] وجعلناها لغة تواصلية قريبة من الناس.

7/إجراء دراسات عملية وموضوعية للهجات العربية الحديثة:

من المعروف أن هذه اللهجات الحديثة لا تمثل العربية الفصحى تمثيلا كاملا ولا كبيرا، ولكنها أيضا ليست أجنبية ولا غريبة عنها وإنما هي بعيدة عنها بعوامل تاريخية ولغوية، وعليه يجب تضييق الفجوة بينها وبين العربية الفصحى وتقريبها منها.

وذلك من خلال دراسات علمية وموضوعية للوقوف على ما يمكن تأصيله من أصوات وصيغ، وتعبيرات ودلالات لغوية في هذه اللهجات وردها إلى العربية الفصحى، وما يمكن تأصيله إلى اللهجات العربية القديمة، أورده إلى اللغات المحلية ثم اختيار الأنسب منها لدعم اللغة العربية، وسد الثغرة فيها " وإذا انتقينا من العامية الكلمات الفصيحة، والتي لها أصل عربي فصيح لم نحتج"[2] إلى استعمال الدخيل من لغات أجنبية، ومن شأن ذلك أن يساعد في التعامل مع اللهجات تعاملا موضوعيا، وتصبح بذلك هذه اللهجات روافد للعربية الفصحى للاقتراض اللغوي تأخذ منها ما تفتقر إليه ليس فقط الكلمات الفصيحة والتي لها أصل عربي فصيح وإنما أيضا المستجدات التي تفتقر إليها العربية الفصحى فنحن خلفاء العرب وما تخترعه ملكاتنا في اللغة يعد عربيا"[3]. وبكل هذا يمكن تنظيم العلاقة بين العربية الفصحى، وبين هذه اللهجات، والسيطرة على حيثياتها[4].

---

[1] في علم اللغة العام، ص 282 (كلام نقله د. عبد الصبور عن قاسم أمين بدون توثيقا)

[2] نفسه، والصفحة نفسها

[3] نفسه، والصفحة نفسها.

[4] ينظر: يعقوب.إميل.فقه اللغة العربيةوخصائصها.ط2.بيروت.دار العلم للملايين.1986م، ص 172

الخاتمة

وهكذا ندرك أن وجود لهجة أو لهجات إلى جانب لغة أساسية لا يشكل مشكلة في حد ذاته، لكن المشكلة قد تنجم من طبيعة العلاقة بين اللغة ولهجاتها أهي علاقة متوازنة، أم أنها غير متوازنة، أهي تخدم حياة اللغة أم تهدمها.

وبهذا يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

1- الفرد المتكلم بين قوة اللغة وقوة الكلام، فالأولى تمثل انتماءه الاجتماعي إلى أفراد المجتمع صاحب اللغة، والثانية تمثل خصائصه الفردية وشخصيته اللغوية.

2- من هذه الحقيقة تتولد اللغة المشتركة واللغة الخاصة عند الفرد المتكلم في آن واحد.

3- أما ما يجعل اللغة المشتركة أمرا جماعيا على أرض الواقع فهي أمور خارجة عن اللغة من ديانة واقتصاد وسياسة وغير ذلك كما حصل للغة العربية قبل الإسلام.

4- ومن اللغة الخاصة تنشأ اللهجة وأهم عوامل نشأتها: البيئة الخاصة والزمن الممتد.

5- أهم فرق بين اللغة واللهجة هي أن أولى أصل والثانية فرع، والأولى سمات المجتمع العامة من الناحية اللغوية والثانية خصائص جزئية لمجموعة من هذا المجتمع.

6- هناك عدم توازن في العلاقة بين العربية الفصحى وبين لهجاتها الحديثة ، ونتجت عن ذلك ازدواجية في النطق العربي وصلت إلى درجة خطيرة، وكانت لها آثار لغوية واجتماعية تستدعي تداركا وحلا عاجلا.

7- الحقيقة هي أن هذه اللهجات سلاح ذو حدين، فيمكن أن تكون مصدر تهديد للغة العربية الفصحى إذا تم إهمالها أو التعامل معها بعشوائية. كما يمكن أن تكون مصدر قوة وروافد للغة العربية إذا تم التعامل معها بطريقة علمية، وهذا أحد الحلول.

8- هناك ثلاثة عناصر مهمة في إيجاد حلول لمشاكل اللهجات العربية الحديثة ، وهي: الاهتمام بلغة الإعلام، وتشكيل النصوص الجمهورية، وأخيرا محو الأمية ونشر ثقافة القراءة والكتابة.

قائمة المصادر والمراجع

1-ابن جني الخصائص ط2 تحقيق علي النجار بغداد 1990م

2-ابن فارس.الصاحبي.في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. ط1.تحقيق مصطفى الشويمي.مؤسسة بدران للطباعة.بيروت..1383ه-1963م.

3-حولة.عبد الله.الأسلوبية الذاتية.مجلة فصول.العدد الأول المجلد الرابع.القاهرة.أكتوبر-نوفمبر-ديسمبر.1984م.

4- جوب.سيدنا علي.البرهان في فقه لغة القرآن.ط2.القاهرة.دار الاتحاد للطباعة.2017م

5- شاهين.عبد الصبور.في علم اللغة العام.ط4.بيروت.1403ه-1984م.

6- عبد التواب.رمضان.المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.ط3.القاهرة.مكنبة الخانجي.1417ه-1997م.

7-فريحة .أنيس.نحو عربية ميسرة.دار الثقافة.1955م.

8-معلوف.اسكندر.اللغة الفصحى واللغة العامية.مجلة العدد15.المجلد12.بيروت.1912م.

9-مصلوح سعد.الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية.ط3.القاهرة.1992م.

10-وافي.علي عبد الواحد.اللغة والمجتمع.القاهرة.دارنهضةمصرللطباعة والنشر.1971م.

11-يعقوب.اميل.فقه اللغة العربية وخصائصهاط2.بيروت.دار العلم للملايين.1986م